الرؤية الشرعية لأحداث 11 من أيلول

بقلم الشيخ/ أبوقتادة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين قال الله تعالى: {ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما}(الأحزاب 22).
المياه راكدة، والجو صحو لا تستتر منه معالم الحدث الزمني والتاريخي، بل كل شيء واضح، والنفوس تحدثت فيما بينها: هلم لنعيد ترتيب أفكارنا، وهيا بنا نجمع ما تشظى فينا، والكل يطلب فسحة ولو يسيرة ليعود إلى كشف حساباته ليرى ما له وما عليه، وفجأة وبلا مقدمات، وعلى قول سكان السواحل: الهدوء الذي يسبق العاصفة.

فجأة كان الحدث، تتابع فقراته الغريبة وكأن العالم أمام خيال مخرج سينمائي يحاول شد المشاهد وإثارته للقطة أو لقطات لم يرها من قبل لا في واقعه ولا في خياله، طائرة لضرب البرج المتعالي في نيويورك. ثم أخرى تأبى أن يحصل فضل هذا المشهد للشقيق دون الشقيق من البرجين، وخلال وقت لا يعدو أن يكون في زمن أي برنامج تلفزيوني ينهار البرجان كقطعة ورق متهالكة، وتوقفت الأنفاس على أعتاب أسئلة كبيرة: من فعل هذا؟؟ لماذا هذا الفعل؟ ماذا ستفعل أمريكا إزاءه؟؟ وما هو وجه العالم الجديد؟
أولا: أنا لا أتصور وليس أحد بعيد مثلي يمكن له أن يتصور نفسية القائد الأوزبكي وهو يسمع هذه التفجيرات تتالى مستهدفة رموز أمريكا المستكبرة، هل تصوروا أن حربا بدأت بهذا الزخم ضد وجودها وأن انهيارها قادم؟

هل هروب الرئيس الأمريكي إلى ولايات فقيرة في الجنوب متخفيا في أمكنة سرية هو دليل على انهيار الرؤى المبصرة في ماذا يمكن لمدير الإدارة الأمريكية أن يفعل وفي أي واقع هو؟
ماذا يمكن للرئيس وكافة الإدارة أن تقدر واقعها وهي ترى جزءا هاما من رمز القوة العسكرية -البنتاغون- ينهار من طائرة حطت عليه بطريقة الصدام والعناق المؤلم؟
من السهل الحديث عن المشاهد البعيد ونفسيته وهو يرى هذه الأحداث لأنه كلها قد عاشها، لكن لا بد أن نحاول ولو قليلا أن نعرف كيف تلقت الإدارة الأمريكية هذه الصور الهائلة، فإن أمريكا لأول مرة تعيش لحظات ولو قليلة في عمر التاريخ تحت الحرب، فأمريكا كانت دائما تعيش الحرب في أرض غيرها، وهذا المعنى هو الذي أراده نيكسون في عنوان كتابه -نصر بلا حرب- فما دامت الحرب خارج الأرض فهي ليست حربا، وما سيقع هو نصر بلا حرب. إن محاولتك أيها القارئ البحث عن نفسية الإدارة الأمريكية عند وقوع الحدث ربما تكشف لك ما صدر عن رئيسها من كلمات محمومة قذرة وبوليسية ضد المسلمين.
ومنذ اللحظة الأولى توجهت أصابع الاتهام ضد المسلمين، وأن الشيخ أسامة بن لادن -حفظه الله- وراءها، اتهام أطلق منذ اللحظة الأولى للحدث سوقته ماكينة الإعلام الغربي وضغطت عليه حتى دخل في عالم المقررات، وإلى الآن ولبقية من الناس التي تحترم عقولها تتساءل أين الأدلة؟

في غمرة التساؤل كثرت الطرائف والعجائب وكان إحدى أكبر العجائب وأكثرها إثارة أنه قد وجد في حقيبة أحد المتهمين بالعمليات وبعد تدمير الطائرة بالكامل وتشتتها إلى قطع صغيرة ولم يوجد بعد أي قطعة للحم لأحد ركابها، استطاع الساحر الأمريكي الخارق في اكتشاف العجائب إلى إخراج رسالة سليمة معافاة لا شوب فيها ولا تغيير من حطام الطائرة... حتى الصندوق الأسود المحصن قد أصابه العطل لكن رسالة المسكين محمد عطا بقيت صامدة متعالية على النيران والصدام ودرجة الحرارة التي وصلت إلى 1000 درجة مئوية... عجيبة لا تحدث إلا في بلاد العجائب أمريكا.
أفاقت الغطرسة الأمريكية من الصدمة، وخرج الرئيس بوش ونائبه بعد أن حلفت له الدوائر الأمنية ألف يمين وقسم أن كل شيء على ما يرام، خرج ليزمجر ويهدد أنه سيهلك العالم أجمع إن لم يدخل معه وتحت سلطانه... من ليس معنا فهو ضدنا... حربنا لن يكون لها حدود... حربنا ليس لها زمن محدود... أحضروا فلانا حيا أو ميتا... سنجعلها حربا صليبية... وتتالت العبارات المحمومة من رئيس دولة يعلم أن تحت يده من القوات والأسلحة ما يبيد بها هذا الكون المسكين، وحينها كان المثل العامي جليا واضحا -السلاح في يد الجاهل يخرب.
أمريكا سقطت هيبتها فما ضرب ليس بالشيء اليسير، والضربة على البرجين التجاريين هي الأكثر ألما ماديا، إذ البرجان هما رمز الاقتصاد الأمريكي الناهب لخيرات الشعوب المستضعفة، وهما الأعلى ارتفاعا في العالم، وفيهما ما لا يتصوره عقل واحد من سكان بلادنا، وقد ذكر الكثير من الخسائر المالية فيهما، وفصل مقدار الشركات التي انهارت، وعدد السكان الذين تبخروا، لكن بقيت عشر طوابق في البرجين لم يعرف الناس وإلى الآن ما كان فيهما.
صحفي خبيث التحليل قال وهو يلوي فمه: لقد كان فيهما مركز استخباراتي أمني سري، ولكنه ذهب مع الريح -آسف مع الحريق.
وأما الضربة على البنتاجون فهي التي لو فتحت حساباتها لأدرك الناس أن هذا العملاق المتخم بكل وسائل الدمار يحمل قلبا عليلا مريضا، فكيف سوقوا على العالم سابقا بان هذا المبنى لا يمكن لطائر متسكع أن يمر فوقه دون تصويره وكشف نوعه ذكرا كان أو أنثى، وكيف تسنى لهذا الطائر-أقصد الطائرة- المدنية أن تعانقه هذا العناق المميت، وتقضي فيه على 800 خبير الله يعلم ماذا كانوا يشربون في مكاتبهم،.. كنت أريد أن أقول: ماذا كانوا يخططون ولكني خفت أن يكون هذا تدخلا سافرا في قضايا سرية. بلا شك أن الحدث أثبت أن الكثير مما يعيشه الناس في خيالاتهم هو من صناعة إعلام يكرس الأسطورة والخرافة حتى تصبح أكبر من الحقائق.
حين خرجت كلمات التهديد الأمريكي المرعبة استجاب العالم كله: رئيس يندد، ورئيس يستنكر، ورئيس يتبرع بدمه المصاب باليرقان، ورئيس يلطم على خديه، ورفض مشايخ المسلمين أن تفوتهم الزفة فخرجت الفتاوى تزايد على صحب الجنازة: فهذا الشيخ صالح السدلان في لقاء مباشر في إحدى محطات الإذاعة يعلن بأننا يجب علينا جميعا أن نتحالف مع أمريكا المظلومة ضد من آذاها وأرهبها وكسر هيبتها، وعلى جميع دوللنا أن تقدم لهذا الجريح ما تقدمه بحسب قدرتها، ولما اعترضت عليه امرأة مكلومة بما يحدث في أمتنا في

فلسطين والشيشان والعراق أخرج سلاما خاصا ها وتمنى لها لو كانت في إحدى برجي التقوى في أمريكا..
وهذا طارق سويدان يقوله ما لم يقله توني بلير وهو يشارك أمريكا حزنها يقول: "الإدراة الأمريكية حاليا ليست في وضعية تؤهلها للسؤال عن الأسباب وعن دور علاقتها وسياساتها فيما حدث، يجب على الجميع حكومات وشعوب مسلمة وغير مسلمة أن يقفوا وقفة واحدة ضد الإرهاب وأن يتعاونوا من أجل قمعه.. من حق أمريكا أن تنتقم ممن فعل هذه التفجيرات وممن يحميه أيضا".
خطيب المسجد الحرام (السديس) يصيغ خطبة أشبه بخطب نهج البلاغة في سجع أسمائها كالشقشقية والتطنجية ويبكي على من مات من المساكين والمدنيين في البرجين، وتعصيه الدموع لكن قطعا لم تستعص عليه هبات ولي الأمر.
وكانت الفاقرة في شيخ الفضائيات يوسف القرضاوي حيث مدح له الناس موقفه المشرف من إصداره فتوى تحرم التحالف مع أمريكا ضد المسلمين في أفغانستان، فيسمع له الناس دعاءه بأن يحفظ الله المجاهدين، لكنها صدرت بعدها من أهل الضلال والنفاق فتوى له ولجماعة من مجتهدي (آخر زمن) كالمستشار القانوني العوا والصحفي الفقيه فهمي هويدي ويمهرها الأصولي طه جابر العلواني الذي لم يبق له من عراقية إلا بقايا لكنها تصر على عدم انسلاخها منه لأمر هي تعلمه، هذه الفتوى تجيز للمسلم الأمريكي في الجيش الأمريكي -ومرحبا بجندي أمريكي مسلم- أن يشارك في الخطوط الخلفية إذا ضربت بلد مسلم من الجيش الأمريكي، وإذا خاف هذا الجندي أن يتهم في وثنيته (آسف وطنيته) فلا بأس أن يشارك في الصفوف الأولى في الحرب ضد المسلمين المساكين.
ويخرج العوا ليعوي بأن هذه الفتوى واضحة وبينة ولا لبس فيها ولا غموض، وأنها صنعت في مطابخ تحليل الفقه الإسلامي المعاصر، ومما قاله: أن على هذا الجندي وهو يرمي بقذائفه وحممه على المسلمين عليه أن يقصد بقلبه أن يقتل الإرهاب لا الإسلام. ويخرج فهمي هويدي بعد الحرب ليقول: كانت الحالة التي أخرجنا فيها الفتوى هي حال ما قبل الحرب، لكن بعد الحرب... اعطس... رحمك الله.
والظاهر أن القرضاوي قد تأثر بفقه الرافضة وبدأ بأخذه بعقيدة التقية لقربه منهم فهو في الظاهر مع وفي الباطن ضد. وعش رجبا ترى عجبا.
لكني أتساءل ومعي بعض من ضيع عقله كذلك يسأل: بالله عليكم لو طلب منكم فتوى الآن ضد أمريكا التي قتلت من المسلمين الأفغان أكثر من عشرة آلاف بهذا الذي قلتموه أكنتم قائليها؟ أم أن الفتوى ضد الضعفاء.. ومع عيونك يا شقرا. ألا لعنة الله على الظالمين.
ولم تعدم الأمة من يلفتها إلى حقائق دينها وواقعها الذي يراد منهم أن ينسوه وأن يغفلوه، فقد قام العالم الشجاع النحرير حمود بن عقلا الشعيبي -رحمه الله - بإصدار فتوى وتحليل للأمر على طريقة علمية سنية، وكانت كلماته صريحة واضحة حتى أغضبت السلطات السعودية وقام نايف وزير الداخلية بسؤال الشيخ العقلا عن فتواه فأجابه بأنها له، وهي ممهورة بخاتمه، وتناقلت وسائل الإعلام هذه الفتوى واعتبرها البعض شرخا في النظام السعودي.

تابعه بعض المشايخ الفضلاء على كلمات وفتاوى طيبة كالشيخ علي الخضير وبشر البشر وناصر العلوان وغيرهم ثم كان بعد مدة ما كتبه الشيخ الفاضل أبو محمد المقدسي من تصور إسلامي للحدث وكلمات أغضبت عليه السلطات الأردنية حتى هددته بأن وراء هذه الكلمات عقوبة تقدر بخمس سنوات سجن.
تتابع الحدث: - فأمريكا أعلنت أن أهداف هذه الحرب هي:
أولا: القضاء على شخص ابن لادن -حفظه الله- شخصيا إما بقتله أو جلبه مأسورا للعدالة المنكوسة فيها.
ثانيا: القضاء على شبكات الإرهاب،، وقواعدها في أفغانستان ومنها تنظيم قاعدة الجهاد، وهو التنظيم الذي تم من خلال الاندماج بين تنظيم الجهاد بقيادة أيمن الظواهري –حفظه الله - وتنظيم القاعدة الذي يتولى قيادته الشيخ أسامة بن لادن.
ثالثا: إزالة حكومة طالبان من حكم أفغانستان واستبدالها بحكومة أخرى.
وصدم كل من سمع أهداف هذه الحرب، ورأوا العجب العجاب في عدم التوافق بين هذه الأهداف وبين ما

يحضر لها من إعدادات عسكرية، فأمريكا هذه الدولة العملاقة، كيف تشن حربا على رجل أو على تنظيم؟ ما الذي دهى أمريكا في عقلها وعقل صناع القرار فيها وبقية الشعب الذي تبين من خلال الاستفتاء أنه يؤيد بمقدار 70 منه هذه الحرب.
ثم لأول مرة تعلن أمريكا صراحة أن لها الحق والشرعية لتغيير نظام دولة بنظام آخر، نعم كانت أمريكا تلعب هذه اللعبة في الخفاء لكن أن تمشي في ذلك، وبالعلن كان صدمة أضحكت بقايا العقلاء في العالم من هذه المهزلة التي سكت عنها كل المتشدقين باحترام الشرعية الدولية.
تهاوت الدول أمام التهديد الأمريكي، فباكستان التي كانت تعد حليفا قويا لحكم طالبان أعلنت أنها ستعطي أمريكا ما تطلب، وستتعاون معها ضد أفغانستان، وكانت حجة الخبيث برويز مشرف أنه يريد أن يحافظ على السلاح النووي، وسمعها الناس منه فوضعوا أيديهم على رؤوسهم تارة ثم بعد الصدمة وضعوها على أفواههم ليمنعوا ضحكاتهم العالية، فالناس ببساطتهم يعلمون أن السلاح النووي لحماة الدولة والشعب، فكيف صار هذا السلاح سبب تنازل ليكون مصدر ضعف، وتتالت التنازلات الباكستانية إلى أن وصلت أن يطلب منها وبصراحة أن تشارك بجيشها البري في أفغانستان وهددت إن لم تفعل فستكون الحكومة القادمة في أفغانستان غير متوافقة مع المصالح الباكستانية.
روسيا أعلنت دخولها اللعبة، وهي ومعها حلفاؤها في الجمهوريات التي ما زالت مربوطة بالقرار الروسي.
وأما دول الردة فهم بين راكض في الجرم وبين جالس فيه. فالكل أعلن أنه يؤيد ضربة تقضي على حكومة أفغانستان تحت مسمى الإرهاب، وقدمت بعض الدول كعمان والكويت الأرض وموطئ القدم.
أما السعودية فمدح موقفها أول الأمر لكنها ولانتساب ابن لادن لها قامت قيامة اللوبي اليهودي في أمريكا بجلد السعودية التي تعلن الإسلام ولم تقض بعد على مناهج الدراسة الأكاديمية التي ما زالت تخرج (الإرهابيين) الذين يقرؤون من

صغرهم وجود عالم مؤمن وعالم كافر، والحرب ما زالت قائمة، وأمريكا تريد الاستنزاف الكامل للمشاركة العسكرية والمالية من هذه الدولة التابعة، وهي تصرخ: لم يبق عندنا شيء لم نقدمه.
وهناك من شعر أن هذه المعركة لن تكون بحاجة إليه فتحفظ على أسلوبها مثل مصر مع تأييدها على منطلقاتها.
بدأت أمريكا بالمساومة مع حركة طالبان على الشيخ أسامة بن لادن والتنظيمات الجهادية هناك، لوحت بالعصا بل بالعصي الكبيرة الكثيرة، وبجزرة واحدة هو أن تسمح لها بالحياة بعد استنزافها بإدخال أطراف أخرى في الحكم، لكن جوبهت أمريكا بثبات إيماني لا قبل للناس به، فملا محمد عمر لا يعرف إلا لغة الإيمان، ولغة الحق. أعطوه وعودا فقال: عندي وعدان، وعد الله ووعد بوش، ووعد الله أنا أرضى به ومطمئن له، وهو أكثر صدقا وقوة.
طالب الملا محمد عمر -حفظه الله -أمير المؤمنين في أفغانستان أن تقدم أمريكا ولو دليلا واحدا على أن ابن لادن له يد في الحدث، لكن أمريكا لا تعرف هذا الخطاب العزيز لا من حلفائها ولا من عبيدها، فاستكبرت وأخذها الزهو والعجب.
امتدت هذه الأحداث وتسارعت من 11سبتمبر إلى 7 أكتوبر الشهر الذي يليه حتى بدأت آلة أمريكا تصب حممها على أفغانستان، واستخدمت أمريكا وإلى كتابة هذه الكلمات كل أسلحتها ما عدا النووي، تلقيها بقذارة وشراسة على المساكين المستضعفين، وجلس العالم جميعا وهو لا يرى أمام ناظريه من دمار إلا لبيوت طينية تهدم ونساء وأطفال وشيوخ تخرج جثتهم من تحت الأنقاض، وانطبق قول نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم عندما رأى الناس يبكون قتلاهم بعد أحد ولا باكي لحمزة فقال بأبي هو وأمي: وأما حمزة فلا بواكي له، إذ سكت حتى من وقفوا أنفسهم ليتحدثوا باسم المسلمين وباسم الإسلام، وصمتوا صمت سكان القبور.
وهنا لا بد من ذكر سريع لبعض الأطراف المتنازعة وبعض أطراف النزاع القريبة والبعيدة:
فباكستان لا يوجد أفغاني واحد من السياسيين يحبها اليوم، فالكل خصوم لها ومن المتوقع أن تكون هي الخاسر الأكبر داخليا وخارجيا، وقد اضطربت كل الاضطراب في تحديد موقف اللامشرف يليق باسم حاكمها المجنون اللامشرف، ولذلك هي تطلب أن يكون لها يد ولو قليلة في حكومة العميل جرازي، ولكن هيهات.
تحالف الشمال المكون من خليط متخاصم متنافر، فالهزارة الشيعة بقيادة العميل الإسماعيلي خان، وبقايا الشيوعيين بقيادة عبد الرشيد دوستم، والجمعية الإسلامية!! التي عنصرها الرئيسي قبل أحداث 11 سبتمبر بيومين وهو أحمد شاه مسعود،..... قتل بيد أكبر مبغضيه وهم شابان عربيان تطوعا لقتله بعملية استشهادية. هذه الجمعية بقيادة رباني الذي باع نفسه سارعت بإعلان دخولها تحت قيادة أمريكا امحاربة خصمها اللدود حركة طالبان الإسلامية.
وهناك إيران والهند وتركيا، وهي دول لها مصالحها الكبيرة في أفغانستان حتى أن إيران لتعد أفغانستان حديقة بيتها الخلفية.

والآن بقي أن نصل إلى الحديث عن الشيخ أسامة بن لادن، هذا الرجل الذي فرض نفسه بقوة على الأحداث، وصار اسمه على لسان كل متحدث، وصار حديثه أكثر إيقاعا من هدير الطائرات.
أول تصريح له كان بعد بداية القصف الأمريكي على أفغانستان، حيث خرج على الناس بشريط أعد سابقا وتكلم فيه إلى الأمة الإسلامية وذلك بعد أن تكلم الناطق الرسمي سليمان أبو غيث الذي سحبت منه الجنسية الكويتية بعد يومين من خروجه بجانب أسامة بن لادن ثم تحدث الدكتور أيمن الظواهري - حفظه الله - وكان حديثهما يدور حول طبيعة المعركة وأنها معركة ضد الإسلام، فالإسلام وحده هو المقصود لا غير، وتحدث فيه الثلاثة عن أمريكا التي ما فتئت تعادي قضايا الأمة الإسلامية وتحارب أسباب نهضتها وتدعم رأس الحربة للتغريب في هذه الأمة ألا وهي دولة يهود.
وتتالت تصريحاته القي لقيت قبولا قويا في الأمة الإسلامية حتى إن طلاب الجامعة الإسلامية في غزة في فلسطين خرجوا يحملون اسمه وصورته وكانت ضريبة هذا العمل قتل شرطة السلطة الفلسطينية ثلاثة شبان مسلمين، لتكون دماؤهم عربون إرضاء الراعي الأمريكي والحليف اليهودي.
كيف نرى هذه المعركة؟
أولا: هل هي حرب دينية؟ الجواب: نعم وألف نعم وإليكم ا لأدلة:
الكثير من الناس يظن أن الحرب الدينية لا يمكن إطلاق هذا الاسم عليها حتى يكون الخصمان لهما دين على المعنى التصوري العقائدي للمسألة وهذا خطأ، ولشرح ذلك نقول: هل كانت حرب المسلمين ضد التتار حربا دينية؟ الجواب: نعم، لأن الدافع الذي جعل أهل الإسلام يقفون أمام التتار ويقاتلونه قتال الأبطال، ويوقفون تقدمه إنما هو الدين، وهذا بغض النظر عن التتار ألهم دين يحملونه أم لا، مع أن التتار هم همج لا هم لهم إلا القتل والسبي ونهب الثروات، لكن الدين الذي هو العامل الأقوى والأهم الذي جعل أهل الإسلام يجابهون التتار هو الذي جعل موت المسلمين أمامهم جهارا في سبيل الله تعالى، وجعل قتلى المسلمين شهداء في سبيل الله تعالى. هذا أولا.
ثم إن أمريكا عندها دين تريد فرضه على الناس، هذا الدين هو مشروعها وتشريعها التي سمى الله هذا كله في مثلها دينا في قوله تعالى: {ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك} فما هو دين الملك غير تشريعه ونظامه وقانونه ودستوره؟!
فأمريكا لها دينها، ولها مشروعها في المنطقة، ولا يقف لمشروعها هذا إلا دين الإسلام اليوم، فقد سقطت كل الشعارات ا لكاذبة كالقومية والوطنية واليسارية والشيوعية ولم يبق إلا من يدين حقا بهذا الدين الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء هم يعلمون معنى الولاء والبراء، ويعلمون حكم الله تعالى في من تحاكم إلى شريعة الطاغوت الكافر، ويعلمون حكم الله تعالى في من دخل في دين الملك وترك دين الله تعالى، وهؤلاء الناس يرون مواقف القيم الإيمانية التي مثلها وجسدها أمير المؤمنين ملا محمد عمر والذي رفض كل التهديدات والمساومات من أجل التنازل عن مسلم واحد حتى لو باد هو وأهله وعشيرته ودولته، فلو سأل الناس أنفسهم: ما هو الدافع لهذا الموقف لعلموا أنه دافع دين الله تعالى، ودافع الإيمان، وإلا فقد كان باستطاعة أمير

المؤمنين ملا محمد عمر أن يتنازل عن هذه القيم الإيمانية ويسلم ابن لادن لأمريكا وحينها سيمدح في عالم السياسة أنه الرجل الذي يوازن بين المصالح والمفاسد، المصالح والمفاسد اليوم لا وجود لقيم الإيمان فيها.
هذا مع ما سمع العالم أجمع عبارة بوش القذرة بأنها حرب صليبية، لأن هذه الكلمة التي أنطقه الله بها عبرت عن مكنون الغرب النفسي في تعامله مع أمة المسلمين وأن البعد التاريخي للصراع بين الإسلام والغرب حاضر دوما، وإذا بدا يوما أنه غائب فهو لعدم الحاجة إليه لحظتها أو لتمرير حزمة أكاذيب لتحقيق المصالح.
فالفهم الصحيح للحرب الدينية هو هذا الفهم، وذلك بأن مشروع الطلبة هو شريعة ودين الله، وهو ما أغضب العالم أجمع عليها فبدأت الأكاذيب ضدها بأنها ضد الحضارة وضد المدنية، وهي ضد المرأة، وأنها مصدر المخدرات في العالم، حتى انطلت الأكاذيب على الصف الإسلامي نفسه، وإلا لو كانت الدولة الأفغانية تحت حكم الطلبة هي كأي دولة أخرى نراها اليوم لقدمت لها كل المساعدات وحميت بكل غال ونفيس من الغرب والشرق.
فحين نقول إنها حرب دينية، ذلك لأن الغرب لا يريد لهذا الدين أن يكون له وجود على شكل دولة وقوة، نعم هم يرددون دائما أنهم ليسوا ضد الإسلام، لكن أي إسلام هذا الذي هم معه وليسوا ضده؟ إنه الإسلام المزور (المعدل)، ذلك الإسلام الذي يقبل الخضوع لأمريكا، والخضوع للغرب، ويرضى بأن يكون متوافقا مع نظرتهم للحياة، ويعطي لأمريكا الشرعية بأن تبسط سلطانها على الدنيا دون معارضة أو معاندة، نعم إنهم يريدون الإسلام الذي يفتي للمسلم في أمريكا أن يصبح فردا في جيش أمريكا ليقاتل مسلما آخر من بلاد الإسلام، ويريدون الإسلام الذي لا يحرم ما حرمه الله ورسوله، ويريدون الإسلام الذي لا يرفض حضارتهم وقيمهم في السياسة والاقتصاد والاجتماع.
أما المسلم الذي يفكر بتحرير أمته من هيمنة الغرب، فيطالب باستقلال أمتنا في قيمها المستمدة من الإسلام لا من قيم الغرب، ويطالب بزوال دولة إسرائيل ويحلم بذلك ويراه حلما مشروعا والإعداد له واجب شرعي لا يكتمل إيمانه إلا يتبنيه لهذا المشروع، ويطالب بخروج مستعمرات العسكر من جزيرة العرب التي جاءت وحلت فيها من الأمريكان وغيرها، ويطالب بإسقاط حكومات الردة التي تعفنت ودمرت العباد والبلاد فهو إسلام محارب مرفوض من ملة ودين أمريكا، بل ويلاحق أفراده ويسحلون في الشوارع كما فعلت مع الشيخ أبي طلال القاسمي -رحمه الله حيا وميتا- وشباب الجهاد في ألبانيا.
إن أمريكا تعلم وكل عضو في إدارة السياسة والفكر فيها يعلم أنه لا بقاء لحضارتها الاستعمارية ولا دوام لهبها لأمتنا، ولا بقاء للولاية الأمريكية خارج أمريكا دولة إسرائيل ما دامت هذه الأمة تنجب من يفهم توحيد الله حق فهمه، ويؤمن بالجهاد أسلوب حياة لا ينتهي إلى قيام الساعة.
نعم هي لا تحارب صلاة من صلى، ولا صيام من صام، ولا حج من حج، ولا تمنع قيام الليل، وهذا هو الدين في تصور عالم الجهل المركب، فأمريكا إذا لا تحارب الدين ما دام أنها لا تحارب الصلاة والصيام والحج، وللزكاة فيها نظر إن كانت قيمة في عالم الاقتصاد والمال.

إذا فهمنا معنى الدين، ومعنى الملة علمنا أن أمريكا تشن حربا دينية على أمة الإسلام، ويا غباء أولئك الذين يبرؤون أمريكا من دم المسلمين لأنهم مسلمون، أو يقولون أمريكا تحارب الإرهاب ولا تحارب الإسلام.
كيف ينبغي أن ننظر لهذه الأحداث:
أولا يجب أن يرفع كل مسلم رأسه عاليا مفتخرا ومستعليا بإيمانه لأنه ينتمي لهذه الأمة العظيمة التي يقف أهلها مع ضعفهم وقلة حيلتهم وتشردهم يقفون وحدهم ووحدهم فقط أمام جند الشيطان في الشرق والغرب، فشباب الإسلام وعلى الخصوص شباب الجهاد هم من يلقن الروس دروس البطولة والشهادة والفداء، وشباب الإسلام وعلى خصوص شباب الجهاد هم من يقف أمام الآلة الأمريكية والاستكبار الشيطاني العفن في رأسها، فالكل قد تساقط وظهر عواره إلا هؤلاء الشباب المؤمن.
تساقطت جماعات الإرجاء والجبن، ورفعت أيديها خوفا واستسلاما، ووقفت عشرات السنين أمام وزارات الداخلية طلب ترخيص حزب مشوه، ودفعوا آلاف التنازلات لدول هشة فسيفسائية، وشباب الجهاد يصادمون برؤوسهم العارية وبأيديهم المتوضئة وبإيمانهم الذي يتعالى مع وعود النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أمام أسلحة الشيطان وجنده، وهي أسلحة لا يعرف مقدارها إلا الله.
حين يرى المسلم هذا فهل يجوز له ولو للحظة أن يحزن عما يصيبنا أو يتراجع، لا والله بل عليه أن يتقدم إلى تحقيق النبوءات الرسالية التي بشرنا بها رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.
يا شباب الإسلام، ويا أحفاد الرجال المؤمنين هنيئا لنا بهذا الدين والحمد لله أن جعلنا من أهله، فلسنا الهنود الحمر الذين يبادون فيطأطؤون رؤوسهم لمستعبد، ولسنا اليابانيين الذين يرضون رغد العيش على حساب قيم السيادة والاستقلال ورفض التبعية، بل نحن أمة تنتمي لأولئك الذي رفضوا عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد عرضه من باب الشفقة عليهم- أن يقدموا ولو حبة تمر واحدة للآخرة ثمن تركهم للأحزاب التي جاءت لاستئصال الإسلام من جذوره، وقالوا: والله ما فعلنا هذا في جاهليتنا فكيف نفعله في إسلامنا؟!
هذه الأمة هي أحفاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي قال: والله لو جرت الكلاب بأرجل نساء النبي صلى الله عليه وسلم لأنفذت بعث أسامة.
هذه الأمة تنتمي لخليفة جهز ألف حصان أبلق استجابة لصراخ امرأة استغاثت به. إنها أمة القيم، وأمة الإيمان، وهي تعلم ضريبة التمسك بالقيم لكنها لا تخاف الثمن لأنها تقرأ قوله تعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن}. فماذا يخشى المؤمن: هب أن أهلنا وإخواننا في أفغانسان قد بادوا جميعا فهل من بقي يرتع في هذه الحياة ويتنعم بها يستحق أن يقال عنه سعيد وهو يعيش مهينا حقيرا مستعبدا؟. أما إذا وقع الوعد الإلهي بالنصر- وهو أمل كل المؤمنين - فضريبة هذا النصر تستحق كل هذا العناء بل وأكثر منه والله لكنها رحمة الله تعالى. إن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة والله، وجود أمثال أمير المؤمنين ملا محمد عمر -حفظه الله - الذي أحيا صوت

السلف، وجهاد الآباء والأجداد، ومواقف الإيمان، وستبقى هذه الصورة للأجيال القادمة أملا يصبو إليها كل من عرف قيمة الإيمان، وأهمية مواقف الرجال.
والله إنها منحة من الله تعالى، وما كان للمنح الإلهية أن تنزل إلا بالمحن، ووالله إنها طريق التمكين، وما كان للتمكين أن يكون إلا بابتلاء، فهل نسي أهل الإسلام هذا الذي سمعوه من الخطباء والمدرسين وقرؤوه من كلمات السلف؟! وأنا أريد أن أسأل بعض أصحاب القلوب الضعيفة سؤالا: كيف تتصورون الجهاد؟ وكيف تتوقعون بناء دولة الخلافة؟ وكيف يحق لأحد أن يحلم بأن يكون عزيزا مهيب الجانب من غير طريق الابتلاء والمحن والجهاد.
وأخيرا: لقد تعلمنا الكثير من هذه الأحداث، فقد تعلمنا:
1- أن الإيمان موقف، وأن الإسلام حالة، وأن الموقف والحالة تحتاج للضريبة والثمن، وما كان لشيء يستحق القيمة إلا بعد أن تبذل في سبيله الأرواح والمهج والتضحيات.
2- تعلمنا أن الانتساب للسلف ليس تصورا عقديا بحتا، بل الانتساب هو عمل وقول، فقد سقط الكثير من أولئك الذين قد سروا بهذه النسبة كذبا وزورا، وبان من كان يعبد الله على حرف ومن هو مستعد أن يموت في سبيل الله وفي سبيل دينه.
3- تعلمنا أن الزهد ليست حالة فردية شخصية، فلم نكن نعلم أبدا ولم نقرأ في كتاب أن الزهد هو موقف دولة كذلك، كانوا يقولون أن الزهد في الدنيا يعين على طاعة الله، وأن الرغبة في الدار الآخرة تهون عليك مصائب الدنيا، لكننا تعلمنا في هذه الأحداث أن زهد الدولة كذلك يجعلها تقف هذا الموقف فلو كانت أفغانستان من تلك الدول التي رفعت فيها البنايات المليئة بالزجاج والبلور، وفيها الناس في رغد وهناء، وكان حكامها لهم الأرصدة المتخمة في بنوك الغرب أكانت هذه الحركة تقف هذا الموقف الإيماني؟ لا والله، فحالة الزهد القدري الذي قدره الرب في أفغانستان هو الذي أعان حركة طالبان وزعيمها أمير المؤمنين ملا محمد عمر أن تقف هذا الموقف الإيماني. فلا نامت أعين من خاف ذهاب دنياه فضحى بدينه من أجلها؟
4- تعلمنا كيف يكشف الله ستر من كاد لدين الله تعالى، وأن المحن طريق كشفه، فمثل هؤلاء الشيوخ الذين أكثروا الفساد في الأرض؟ ومثل هؤلاء الحكام الذي غيروا الدين وبدلوا الملة ما عاد أحد يثق بهم، وما عاد أحد يستطيع أن يدافع عنهم، لأن رائحتهم قد فاحت، وقذارة أقوالهم ومواقفهم غطت على محاولات الترقيع. فالحمد لله رب العالمين.
5- علمنا الحدث أن قدر الله أقوى من قدرة البشر، وأن مهما بلغت قدرة الطاغوت، ومهما تبجح وتكبر فإن الله إذا قدر أمضاه، لا يرده سلطان ولا إرادة فهو صاحب الأمر كله فالله هو القوي المتين، وأن سحر الشيطان لا ينفذ إلا على عباده ممن يخشونه ويهابونه، وأما أولئك الذين يخشون الله تعالى فهم الذين لا يأبهون لسلطان ولا لعات مهما بلغ أمره وشأنه.
6- علمنا الحدث أن هذه الأمة أقوى من كل عوامل التعرية والإفناء، وأن في الزوايا خبايا، وأن ما يقرأه الناس عن الأوائل ليس ضربا من الخيال ولا أسطورة متافون، وأن عالم القيم والإيمان ما زال يحدث أثره في الوجود، بل هو المؤثر الأول والقوي في حياة البشر وصناعة التاريخ، فإذا كان الناس يهربون من أمام

النار والحريق فإن لهذا الدين أبناء لا يحلو لهم إلا الطيران إلى فطان الموت والشهادة، وأن النار لا ترهبهم بل هم يشتهون أن يكونوا وقودها ومسعريها.
7- علمنا الحدث أن هذه الأمة لا يستنفرها شيء سوى التحدي، وكلما كان الخصم أقوى وأوضح كلما كان تفاعل الأمة أقوى وأعظم، فإن دولة مثل السعودية مثلا تمنع القنوت لأهلنا وإخواننا في أفغانستان وتمنع الخطباء من الحديث إلا بما يوحى لهم من وزارة الأوقاف فلا يطع إلا جبان وفي جمعة واحدة منع وحوكم أكثر من 160 خطيبا وإماما لمخالفتهم الأمر، وفي لحظة تكتشف الدولة أن أكثر من 4000 شاب غابوا ولم يعد لهم وجود فقد طاروا إلى فطان الشهادة والإيمان.
علمنا الحدث وعلمنا وما زال هناك حديث يستحقه من العبر والأخبار. فما زالت المعركة دائرة ولم تقم على سوقها بعد سوى أن أمريكا وحلفاءها أظهروا قوتهم على الضعفاء والبيوت الطينية، نعم خضبت الأرض من بعض دماء المجاهدين من الطلبة والأنصار، لكن بحمد الله كل هذا من وعده تعالى كما قال: {ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما}. فالحرب سجال، ولا يمكن لأمريكا ولا لحلفائها أن يحققوا نصرا نهائيا، ولذلك هم يجمعون الجموع، ويؤلبون الأحزاب من عجم وعرب، فتركيا تبرعت بألفين من مقاتليها المرتدين والأردن مدعوة لزيادة الكفر، وبريطانيا قدمت 4000 وهولندا قدمت مثلهم، وألمانيا تطلب الدخول ومثلها فرنسا حتى اليابان تستعد، وأمريكا تريدها حربا شاملة وسيضلها الله للوقوع في المستنقع، فإن وقع هذا حينئذ سيكون لأهل الإيمان موقعتهم فإما كأصحاب الأخدود، وهو خيار قدري لأهل الإيمان ولا يعد أبدا هزيمة ولا تراجعا، بل سيكون لعنة على القتلة كما قال تعالى: {قتل أصحاب الأخدود} أي قتل القاتل لا المقتول. وإما نصر إلهي كنصر الله تعالى للمؤمنين يوم الأحزاب، فما كان من الله تعالى إلا أن كفى الله المؤمنين القتال ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا، وبعد عزوة الأحزاب قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم.. رواه البخاري من حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه.

والحمد لله رب العالمين.